

جمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة جيجل
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

المدارس والاتجاهات السيميولوجية

Schools and Trends in Semiology

السنة الأولى ماستر
من إعداد:
الدكتورة سامية بوكحيل

2024

المخلص

تتناول هذه الورقة البحثية المدارس والاتجاهات السيميولوجية التي شكّلت الحقل السيميولوجي منذ نشأته في أواخر القرن التاسع عشر وحتى اليوم. وتستعرض الورقة ثلاثة اتجاهات رئيسية: السيميولوجيا التواصلية، والسيميولوجيا الدلالية، والسيميولوجيا الثقافية؛ وخمس مدارس كبرى: المدرسة البنيوية، والمدرسة التفكيكية، والمدرسة التداولية، والمدرسة الاجتماعية، والمدرسة الثقافية. وتبيّن الورقة أن تعدّد المدارس والاتجاهات يُعكس ثراء الحقل السيميولوجي وقدرته على التكيف مع مختلف السياقات المعرفية والمنهجية، مع التركيز على الإسهامات النظرية لرواد كل مدرسة وأبرز مفاهيمها.

الكلمات المفتاحية: السيميولوجيا، السيميوطيقا، الاتجاهات السيميولوجية، المدارس البنيوية، التفكيكية، التداولية

المقدمة

شهد حقل السيميولوجيا منذ نشأته تنوعًا ملحوظًا في المدارس والاتجاهات، وهو تنوع يُعكس اتساع هذا الحقل المعرفي وقدرته على استيعاب مقاربات منهجية متعددة. فمنذ أن أرسى فرديناند دي سوسير وتشارلز سندرلز بيرس الأسس الأولى لعلم العلامات، لم تكتفِ الأجيال اللاحقة بتطبيق هذه الأسس، بل أفرزت قراءات نقدية وتصورات جديدة أدّت إلى ظهور مدارس واتجاهات متباينة. وتعدّ دراسة هذه المدارس والاتجاهات مدخلًا ضروريًا لفهم التطور التاريخي والمعرفي للسيميولوجيا، وإدراك أبعادها المنهجية في مقاربة الظواهر العلامية. وتسعى هذه الورقة إلى استعراض أبرز الاتجاهات والمدارس السيميولوجية مع بيان أسسها النظرية وإسهامات روادها.

أولاً: الاتجاهات السيميولوجية

1. السيميولوجيا التواصلية

تهتم السيميولوجيا التواصلية بدراسة العلامات في سياق عملية التواصل، أي كيف تُنقل الرسائل من مرسل إلى متلقٍ عبر قنوات تواصلية مختلفة. وترتكز هذه المقاربة على نموذج التواصل الذي يُحدّد عناصره الأساسية في المرسل والرسالة والمتلقّي والقناة والرمز والمرجع. ويُعدّ رولان بارت من أبرز من نظّر لهذا الاتجاه، حيث حلّل بنيات التواصل في الثقافة الجماهيرية وأظهر كيف تُنتج الصور والرموز الإعلانية دلالات تتجاوز معناها الحرفي. كما يندرج ضمن هذا الاتجاه الإسهامات الأولى لسوسير الذي اعتبر اللغة نظامًا تواصلًا بالدرجة الأولى.

2. السيميولوجيا الدلالية

تركّز السيميولوجيا الدلالية على دراسة المعنى والدلالة في العلامات والرموز بغضّ النظر عن سياق التواصل المباشر. وتعتمد هذه المقاربة على تحليل بنيات المعنى وعلاقاته الداخلية، مستندة إلى أطروحة سوسير حول الطبيعة التعسفية للدال والمدلول. وقد طوّر ألجيرداس جوليان غريماس هذا الاتجاه بشكل جوهري من خلال نظريته في السيميوطيقا البنيوية، حيث وضع نموذجًا تحليليًا للسرديات والخطابات يكشف عن البنى الدلالية العميقة المتحكمّة في إنتاج المعنى. كما أسهم لويس بلمسليف بمقارنته الوظيفية التي قسّم فيها الدال والمدلول إلى مستويين: محتوى وتعبير.

3. السيميولوجيا الثقافية

تهتم السيميولوجيا الثقافية بدراسة العلامات والرموز في سياقها الثقافي والاجتماعي الأوسع، مع التركيز على كيفية تشكّل المعاني ضمن الثقافة وتحولاتها عبر الزمن. وتعدّ مقاربة يوري لوتمان من أبرز المساهمات في هذا الاتجاه، حيث اعتبر الثقافة نظامًا سيميوطيقيًا يُنتج المعنى من خلال تفاعل النصوص والشفيريات الثقافية. وقد طوّر لوتمان مفهوم "النص الثقافي" و"الفضاء السيميوطيقي" لفهم كيف تُولّد المعاني وتتداول داخل المجتمعات. كما أسهم أمبرتو إيكو في تطوير هذا الاتجاه من خلال تحليله للثقافة الجماهيرية والظواهر السيميوطيقية المعاصرة، مؤكدًا أن كل ظاهرة ثقافية يمكن قراءتها كنصّ علامي.

ثانيًا: المدارس السيميولوجية

1. المدرسة البنيوية

تُعَدُّ المدرسة البنيوية من أوائل المدارس السيميولوجية وأكثرها تأثيرًا، وتقوم على فكرة أن الظواهر الثقافية والاجتماعية يمكن فهمها من خلال تحليل بنيتها الداخلية والعلاقات القائمة بين عناصرها. ويُعْتَبَرُ فرديناند دي سوسير المؤسس الأول لهذه المدرسة، حيث أرسى مفهوم العلامة اللغوية كثنائية متلازمة من الدال والمدلول، وأكد على الطبيعة التعسفية للرابط بينهما. وقد تأثر به عدد من المفكرين البارزين، منهم كلود ليفي شتراوس الذي طَبَّقَ المنهج البنيوي في تحليل الأساطير وأنظمة القرابة، ورومان جاكوبسون الذي طَوَّرَ نظرية الوظائف اللغوية. كما أسهم رولان بارت في نقل المقاربة البنيوية إلى مجال تحليل الثقافة والإعلام من خلال تحليله لبنيات الأسطورة والصورة الإعلانية.

2. المدرسة التفكيكية

نشأت المدرسة التفكيكية كرد فعل على المدرسة البنيوية، ويرتبط اسمها بجاك دريدا الذي دعا إلى تفكيك الثنائيات التقابلية التي أرساها البنيويون كثنائية الدال والمدلول والحضور والغياب. ويرى التفكيكيون أن المعنى ليس ثابتًا ومستقرًا كما يزعم البنيويون، بل هو متحرّك ومتبدّل بحسب السياق والقراءة. وقد طَوَّرَ دريدا مفاهيم مثل "الاختلاف" (Différance) و"الحضور اللغوي" لنقض ادعاءات البنيوية بوجود بنيات ثابتة. وقد أثارت المدرسة التفكيكية جدلاً واسعاً في الأوساط الأكاديمية، لكنها أسهمت في إغناء النظرية السيميولوجية بتأكيدها على تعدّد المعاني وتأويلها اللامتناهي.

3. المدرسة التداولية

تهتم المدرسة التداولية بدراسة العلامات في سياق استعمالها الفعلي، أي كيف تُستخدَمُ العلامات والرموز في المواقف التواصلية الواقعية. وتستند هذه المدرسة إلى فلسفة بيرس البراغماتية، حيث أكد على أن معنى العلامة يتحقّق في آثارها العملية ونتائجها التداولية. وقد طَوَّرَ تشارلز موريس هذا الاتجاه بقسمه السيميوطيقا إلى ثلاثة أبعاد: بنية تدرس العلاقات بين العلامات، ودلالية تدرس علاقة العلامات بمرجعياتها، وتداولية تدرس علاقة العلامات بمستخدميها. كما أسهم جون أوستن في تطوير البعد التداولي من خلال نظريته في الأفعال الكلامية، والتي أظهرت أن اللغة ليست مجرد أداة وصف بل فعل تغيير في الواقع.

4. المدرسة الاجتماعية

تركّز المدرسة الاجتماعية على البعد الاجتماعي للعلامات والرموز، وتدرس كيف تُنتِج المجتمعات المعنى من خلال أنظمة علامية متعددة. ويتصل هذا الاتجاه بأعمال ميخائيل باختين حول الحوارية وتعددية الأصوات، حيث أكد أن المعنى يتناقل في الفضاء الحوارية بين الذات لا داخل عقل متفرد. كما تُعَدُّ مقاربة بيير بورديو حول الرمز والسلطة الرمزية من أبرز المساهمات في هذا الاتجاه، حيث ربط بين العلامات والسلطة وأظهر كيف تُمارَسُ الهيمنة من خلال أنظمة رمزية. فضلاً عن ذلك، أسهمت مدرسة فرانكفورت في النقد الثقافي من خلال تحليل صناعة الثقافة واستلاب الرموز في المجتمعات الرأسمالية.

5. المدرسة الثقافية

تهتم المدرسة الثقافية بدراسة العلامات والرموز ضمن سياقها الثقافي، وتُعَدُّ امتداداً للسيميولوجيا الثقافية التي طَوَّرَهَا يوري لوتمان ومدرسة تارتو. وتقوم هذه المدرسة على فكرة أن الثقافة نفسها نظام سيميوطيقي يُنتِج المعنى ويحوّله، وأن النصوص الثقافية تتشابك في شبكة معقدة من المراجع والتناصبات. وقد طَوَّرَ لوتمان مفهوم "الفضاء السيميوطيقي" و"حدود الثقافة" لوصف الآليات التي تُؤَلِّدُ فيها المعاني وتتداول. كما أسهمت المدرسة الثقافية في فهم أعمق للظواهر الثقافية المعاصرة، من الإعلام إلى الفنون الشعبية إلى الخطاب السياسي، مع التأكيد على أن كل ممارسة ثقافية هي في جوهرها ممارسة علامية.

الخاتمة

يتبيّن من خلال استعراض المدارس والاتجاهات السيميولوجية أن هذا الحقل المعرفي يتسم بثراء منهجي استثنائي، حيث لا يحتكره مدرسة واحدة أو اتجاه واحد. فلكل مدرسة مقاربته الخاصة في فهم العلامات والرموز، ولكل اتجاه إسهاماته النظرية المتميزة.

والاتجاهات الثلاثة — التواصلية والدلالية والثقافية — لا تتقاطع فحسب بل تتكامل أيضًا، مما يُتيح للباحثين مقارنة الظواهر العلامية من زوايا متعددة. كما أن المدارس الخمس — البنيوية والتفكيكية والتداولية والاجتماعية والثقافية — تمثل محطات مفصلية في تطور الفكر السيميولوجي، وأسهم كل منها في إغناء هذا الفكر وتوسيع آفاقه. ويُشير هذا التعدد إلى أن السيميولوجيا علم حيٌّ متجدّد، قادر على التكيف مع التحولات المعرفية والثقافية المتسارعة.

المراجع

دي سوسير، فرديناند. (1916). محاضرات في اللغويات العامة. ترجمة يوثيل يوسف عزيز. دار الشروق.

بيرس، تشارلز سندر. (1931-1958). الأعمال الكاملة. دار هارفارد للنشر.

بارت، رولان. (1957). أسطوريات. ترجمة رائد حمدان. دار الكتاب العربي.

بارت، رولان. (1964). عناصر السيميولوجيا. ترجمة عبد السلام بنعبد العالي. دار توبقال.

غريماس، ألجيرداس جوليان. (1966). السيميوطيقا البنيوية. دار لاروس.

دريدا، جاك. (1967). الكتابة والاختلاف. ترجمة كامل يوسف حسين. دار توبقال.

إيكو، أمبرتو. (1976). نظرية السيميوطيقا. ترجمة سعيد بنكراد. دار توبقال.

لوتمان، يوري. (1990). كون النص. ترجمة عبد المجيد نوسي. دار توبقال.

موريس، تشارلز. (1938). أسس نظرية العلامات. دار شيكاغو للنشر.

بورديو، بيبير. (1991). اللغة والسلطة الرمزية. ترجمة حسن بنعلي. دار توبقال.